حوار

حوار مع مؤلف

موسوعة التاريخ الإسلامي

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

أجرت مجلة الفكر الإسلامي حواراً خاصاً مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي بشأن موسوعة التاريخ الإسلامي إليك نصّه :

س ١ ـ بعد الجولة الطويلة في مصادر التاريخ الإسلامي فيما يخصّ السيرة النبوية وتاريخ عصر الرسالة ما هو الانطباع الذي حصل لديكم تجاه مصادر التاريخ العامة والخاصة ؟

الجواب : بعد الجولة الطويلة في مصادر التاريخ الإسلامي فيما يخص السيرة النبوية وتاريخ عصر الرسالة، الانطباع الذي حصل لي هو أنّ كثيراً مما ورد بخصوص السيرة النبوية وتاريخ عصر الرسالة من مصادر التاريخ العامة أو السيرة النبوية من عامة المسلمين نجد كثيراً من مفرداتها في طيات كثير من أخبار أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن بحاجة إلى عناية للمّ شتات هذه المفردات من بين هذه الأخبار المتناثرة وهو الذي عنيت به، وفي كثير من الموارد اعتمدنا في كتابة المتن ولو بشيء من الاختصار على مرويات

www.noormags.com

أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعندما رأينا بعض تفاصيل ذلك في بعض المصادر من عامة المسلمين استفدنا منها كتعليقات تفصيلية للمتون الحاصلة من خلال أخبار أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

س ٢ ـ بماذا تتميز المصادر التي نقدتموها في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة؟

الجواب: أن المصادر التي نقدتها في مقدمة المجلد الأول من موسوعة التاريخ الإسلامي تتميز بأنها أُمهات مصادر السيرة النبوية المتواجدة اليوم لدينا وهي من أقومها وأقدمها.

س ٣ ـ بماذا تتميز المصادر التي أشرتم إليها في الحوار الذي أُجري معكم قبل سنين؟

الجواب: لعلي أُجيب عن هذا السؤال بعد أن أُعيد النظر في ذلك الحوار؛ لأنه لا تحضرني الآن المصادر التي أشرت إليها في ذلك الحوار.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

س ٤ ـ بالنسبة للمنهج الذي سلكتموه ما هي مميزاته عمّا يماثله، وما هي عقباته؟

الجواب: بالنسبة للمنهج الذي سلكته أنا في هذا الكتاب ـ موسوعة التاريخ الإسلامي ـ ومميزاته عمّا يماثله أما المميز عن هذه المماثلة في موسوعة التاريخ الإسلامي فإني التزمت في هذا الكتاب أولاً بمراجعة أقدم وأقوم مصادر أخبار أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بهذا الصدد، أي بخصوص السيرة النبوية، وكما أسلفنا الإشارة إليه جعلت بعض التفاصيل التي عثرت عليها لبعض ما جاء في أخبارهم أو أخبار أتباع مدرستهم عليهم السلام والذي وجدته عند غيرهم جعلته في التعليقة التفصيلية للمتن بشكل متن وحاشية أو متن وهامش كما يصطلح عليه، إذن فالالتزام الأول أن أستقصي وأتتبع ما

www.noormags.com

ورد من أخبار السيرة ولو من المفردات المتناثرة من رواية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام من أقدم وأقوم المصادر القديمة، وإذا عثرت على بعض الحلقات المفقودة في هذا الجانب وهذا التاريخ وهذه السيرة أملأ تلك الحلقة المفقودة من أقدم وأقوم سائر مصادر المسلمين من غير أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

هذا بالنسبة إلى المميّز الأساس بين المنهج الذي سلكته في هذا الكتاب وسائر الكتب المماثلة.

ومن المميزات لهذا الطرح أنه ليس تاريخاً للسيرة النبوية فحسب بل هو تاريخ للسيرة النبوية بما فيه من تاريخ نزول القرآن ولا سيما الجانب التاريخي من القرآن، يعني أسباب وشؤون نزول الآيات التي فيها حوادث ينطبق عليها عنوان الحلقات التاريخية للسيرة النبوية، وما عاصره رسول الله وما نزل بشأنه آيات عليه صلى الله عليه وآله فهو تاريخ للإسلام والقرآن وفي هذا الجانب نوع من الاستقصاء والتتبع، ثم التحقيق فيه؛ لأن روايات شأن النزول هي روايات متشعبة متداخلة كثيرة التداخل وتحتاج إلى نوع من العناية دراسة ومقارنة ومقايسة واستنتاجاً لاستخراج قرائن الترجيح للرواية الراجحة والأولى بالقبول والأسلم من كثير من نقاط الضعف في كثير من المرويات بشأن النزول وأسبابه.

وهذا أيضاً كان من جملة ما عنيناه ومن جملة مميزات موسوعة التاريخ الإسلامي.

أمّا بالنسبة للشق الثاني من السؤال وهو ما هي عقباته، فأهم عقبة أنها محاولة كأنها جديدة، وإن لم تكن هي جديدة بالأساس، فقد سَبَقَنا جميعاً المرحوم العلّامة المجلسي رضوان الله عليه في موسوعته الكبرى: «بحار الأنوار» في مجلدات التأريخ منه بهذه المحاولة، ولكن بيننا وبينه أكثر من ثلاثمئة سنة، وفي هذه الثلاثمئة سنة ـ يعني ثلاثة

www.noormags.com

قرون ـ حصل كثير من التحديث للكثير من المصادر بالتحقيق الفني، وإحداث كثير من المصادر الأُخرى المستنبطة والمنتزعة من كثير من المصادر السابقة، واستحداث ـ إن صحّ التعبير ـ الكثير من المصادر التي كانت يومئذ مفقودة أو شبه مفقودة أو لم يعثر عليها المرحوم المجلسي في بحار الأنوار، ونرى أن كل من يراجع قسم التاريخ من الموسوعة الكبرى «بحار الأنوار» يرى في ذلك القسم الكثير من نقاط الضعف وعدم القوة، وكثيراً من الهفوات والنقص والعوز أو مختلف العلل ومنها ما أشرت إليه من قلة المصادر؛ لأنها كانت محاولة أُولى في هذا الجانب.

وكثيراً ما نرى المرحوم المجلسي مع محاولته لإصدار تاريخ في ضوء مدرسة مذهب أهل البيت عليهم السلام مع ذلك في كثير من الفقرات ـ هذا بالإضافة إلى أنّ الترتيب للمرحوم المجلسي كان ترتيباً وتبويباً غير ترتيب تاريخي حولي تفصيلي، يعني كان يبدأ بالأبواب التي يعقدها حسب مختاره وحسب تواجد الأخبار التي بحوزته ليعقد لها عناوين الأبواب، وحسب عقده لتلك العناوين يأتي بمعنونات ما يراه من مصاديق ذلك المعنون يأتي به في ذلك الباب ـ نراه يملأ بعض الحلقات المفقودة بغير الأقدم والأقوم من المصادر، فيعني هناك مصادر أقوم وأقدم مما عثر عليه المرحوم المجلسي فملأها بغير الأقدم أو غير الأقوم ولا سيما في ما لم يجد فيه نصوصاً من رواية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نقلها ليس عن المصادر الأُولى أو عن المصادر الأُولى بواسطة المصادر الثانوية بل وهي من المصادر المتأخرة، يعني أحياناً من مصادر القرن التاسع أو السابع أو ما شاكل ذلك وهذه المصادر هي واسطة عن المصادر الأُولى لم تكن يومئذ بحوزة المرحوم المجلسي لكنها الآن متوفرة ويمكن مراجعتها، وفيها بعض الاختلاف والمغايرات التي أحياناً هي مغيّرة لبعض المعاني، فالعقبة هي أن هذه المحاولة بهذه

www.noormags.com

الكيفية وبهذا المستوى من الدقة كان شيئاً جديداً، ولذلك فهي كأي محاولة جديدة تحتاج إلى عناء خاص، وأكثر الأحيان تستلزم كثيراً من الفحص الطويل حتى نستفرغ الوسع ونطمئن إلى وجود أو عدم وجود نصوص في رواية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام حتى ننتقل إلى أقدم وأقوم المصادر من غيرهم، فنملأ حلقة الفراغ أو الحلقة المفقودة فقط ثم ننتقل إلى ما نجد من رواية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، هذه هي أهم العقبات.

س ٥ ـ هل استطعتم أن تطبقوا المنهج الذي رسمتموه وكنتم تطمحون إلى تطبيقه؟

الجواب: نعم لم تعرض مخالفة للمنهج الذي اخترته لنفسي ملئاً لهذا الفراغ الذي كنت أشعر به بعد هذه القرون الثلاثة من محاولة المرحوم المجلسي رضوان الله تعالى عليه، ولم نعدل عن هذا المنهج إلّا أحياناً بعد فترة أو فواصل من العمل التفتنا إلى بعض الاستدراكات، أي إلى وجود نصوص لم نكن عثرنا عليها حين الاستقصاء والتتبع، يعني تبين أن استقصاءنا وتتبعنا لم يكن استقصاء وتتبعاً تاماً، وهذا من باب الاستدراك وليس من باب العدول عن المنهج، ومن الطبيعي أنّ لي أن أعترف أن بعض هذا الاستدراك حصل بعد نشر الجزء الأول أو أحياناً بعد نشر المجلد الثاني من الموسوعة؛ ولذلك حصل بعض التغيير بالنسبة إلى كيفية تنظيم وترتيب وتبويب واستخراج بعض النصوص للمجلد الأول بعد الطبع، وهذا ما نأمل من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتداركه في طبعة لاحقة إن شاء الله تعالى.

س ٦ ـ ما هي أهم النتائج التي حصلتم عليها خلال منهجكم في موسوعتكم هذه؟

الجواب: أهم النتائج التي حصلنا عليها هو ما سبقت الإشارة إليه حيث استخرجنا

www.noormags.com

صيغة جديدة للسيرة النبوية نطمئن إليها في ما هو الموجود بعد الاستقصاء التام أو شبه التام في مصادر روايات أهل البيت عليهم السلام، بحيث إذا رأينا في موضع مراجعة إلى بعض المصادر الأُخرى ـ يعني مصادر سائر المسلمين ـ لابدّ أن نكون مطمئنين بصورة ضمنية إلى عدم العثور على ذلك المضمون ضمن أخبار مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ثم بنفس الوقت نطمئن إلى أن كلا النقلين كما اشترطنا على أنفسنا من أقدم وأقوم المصادر، وإذا عثرنا على المصدر الأصلي لا نعطف عليه المصادر الثانوية والمصادر الفرعية كما في كثير من الكتب مع الأسف على الرغم من أنها بنيت من الأول على مبنى مدرسة أهل البيت عليهم السلام. ونرى:

أولاً ـ أنها لم تلتزم التتبع التام والاستقصاء التام لما اعتذرت في مقدماتها بقلة الوقت والانشغال ببعض الاشتغالات العلمية الأولى أو الأهم.

وثانياً ـ أنها لم تلتزم بالنصوص يعني غالباً ما نقلت بالعبارة وبالمعنى.

وثالثاً ـ اختلط فيها التحليل مع النصوص.

ورابعاً ـ اختلطت فيها المصادر من أخبار أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مع مصادر سائر المسلمين، ثم اختلط المتقدم والمتأخر والأصلي والفرعي الذي أخذ من ذلك الأصل من دون تمييز أحياناً، لكن هذا الكتاب يطمأن إليه أنه إذا نقل شيئاً من مصدر يكون من أقدم المصادر وأقومها، فإن كان من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فبها، وإن كان من غيرهم فبعد الاطمئنان إلى عدم العثور على مثله في مرويات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

س ٧ ـ هل كانت تجربتكم ناجحة؟

الجواب: نعم أنا أراها تجربة ناجحة إن شاء الله وإن كنت لم أُصرح بهذه النقاط في

www.noormags.com

المطبوع المنشور من الكتاب، وكما يقولون إنما يعرف الفضل ذووه، فكثيراً ما ألتقي بكثير من أهل الفضل فأراهم قد التفتوا إلى كثير من هذه النقاط المميزة لهذا الكتاب ولهذه المحاولة من دون أن نكون مصرحين بها في مقدمة الكتاب تعريفاً بالكتاب، وإنما يقفون عليها من خلال مراجعة الكتاب مباشرة.

س ٨ ـ هل كان إحصاؤكم للمصادر والمعلومات في كل أجزاء الموسوعة على حد سواء؟

الجواب: إذا كان المقصود من إحصاء المصادر ـ الإحصاء هنا بمعنى التتبع للمصادر ـ اختلاف حاله من جزء إلى جزء، فنقول: لا، هذا خلاف محاولتنا؛ لأنها كانت محاولة واحدة على مستوى واحد؛ ولذلك كان الاستقصاء إما على مستوى واحد أو متقارب، ولا أرى اختلافاً في استقصائي للمصادر والمعلومات في أجزاء الموسوعة.

س ٩ ـ هل تطمحون في تطوير المنهج الذي سلكتموه؟

الجواب: لحد الآن لا أرى تطويراً لهذا المنهج على هذه الأُسس والمباني التي بنينا عليها.

س ١٠ ـ ما هي نقاط الفراغ حسب رأيكم في هذا المنهج والتي تستحق الدراسة المعمقة والإكمال؟

الجواب: هذا يحتاج إلى بعض التأمل، وإلى وقفات تأملية أُخرى قد يكون عليّ أن أعترف بأنني لم أتفرغ لها وأنا مشتغل بعد باستمرار بملء الفراغات الممكنة لي بأصل المحاولة، وهذا يمكن أن نقف عليه بوقفات تأملية استعادة لقراءة الكتاب، وقد أُوفق له إن شاء الله تعالى في المستقبل.

www.noormags.com

س ١١ ـ لماذا لم تبادروا إلى تحليل الحوادث والاستنتاج ؟

الجواب : أن المبادرة منذ البداية كانت لملء فراغ رأيته في المكتبة الإسلامية الشيعية بالخصوص لتحضير نص مختار على هذه الأُسس والمباني ليكون أساساً للتحليل فيما بعد، ورأيت أن الخلط بين المحاولة الأصلية لاستجماع واستخراج هذه النصوص والتحليل مما يطول علينا العمل، ويخلط المحاولتين بعضها ببعض، ورأيت أن محاولة التحليل محاولة فرعية على النص المختار، ورأيت نقصاً في بعض التحاليل السابقة، وهذا مما هو مشهود وملاحظ، وأن التاريخ العصري إنما هو التاريخ التحليلي وليس التاريخ النصوصي، وأنا عدلت عن التحليلي المرغوب عصرياً؛ لأني رأيت أن التحليل الصحيح إنما هو فرع النص المختار المحقق الصحيح، ورأيت في هذا فراغاً من الألزم في البداية ملؤه ثم التحليل مبنياً على نص مختار محقق، فلذلك لم أُبادر لتحليل الحوادث إلّا ما شذّ وندر من بعض التحليلات والاستنتاجات الضرورية اللازمة وإلّا فليس البناء هكذا، بل رأينا أن هذه بعض نقاط الضعف فيما سبق من الكتب التي حاولت أن أتجنبها حينما كتبت.

س ١٢ ـ ما هو مدى اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالتأريخ الإسلامي وحوادث عصر الرسالة وما بعده ؟

الجواب : هذا نستطيع أن نعطفه على محاولتنا وبعض نتائجها، إن محاولة أهل البيت بالإسهام في التاريخ الإسلامي ولا سيما حوادث عصر الرسالة إنما تتبين من خلال جهد في هذا الجانب، ولذلك جمعنا المستطاع، وهذا هو الموجود بين يدي القراء الكرام.

www.noormags.com

س ١٣ ـ بالرغم من أن المصادر التاريخية ذات جذور شيعية، لماذا لم تخترق المصادر الشيعية مكتبات العالم الإسلامي؟

الجواب: نعم كما دلت بعض التتبعات في المصادر التاريخية الأُولى أنها ذات جذور شيعية وإن كانت شيعية بمختلف المعاني من حيث المراحل أو المراتب الشيعية، يعني إما شيعية بالمعنى العام أحياناً، وأحياناً بالمعنى الخاص، ولكنها لم تخترق وهذا واضح، أما السبب في عدم اختراقها لمكتبات العالم الإسلامي بشكل عام ودائم ومستمر وعلى طول التاريخ فسببه كلمة واحدة وهي أنها كانت من مكتوبات الأقلية المعارضة للطبقة الحاكمة، والتي كانت تمثل مدرسة الخلفاء.

أما مدرسة المعارضين للخلفاء وبالخصوص المعارضة الشيعية أي معارضة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فكانت مدرسة الخلفاء تشعر منها بالخطر، ولذلك تحاول أن تسدّ منافذ ظهور وبروز هذه المعارضة.

وهناك أقلام تاريخية تكتب لمدرسة الخلفاء وهذا شيء طبيعي ودائم ومستمر، حسب ما في المثل المعروف الناس على دين ملوكهم، والناس بملوكهم أشبه منهم بآبائهم، وأقلام تعرف من أين تؤكل الكتف، تعرف كيف تجمع وكيف تكتب بحيث تكون متوافقة مع المباني والأُسس العامة لمدرسة الخلفاء والتي هي مدرسة أكثرية المسلمين، فتكتب لنفسها النجاح والدوام والاضطراد والموفقية بهذا المعنى، وكمثال لذلك ما صرح به الطبري في نقله للأخبار التي تتعلق بنفي أبي ذر الصحابي المهاجر رضوان الله تعالى عليه من خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، نفيه وتبعيده في زمن الخليفة الثالث عثمان إلى الربذة ووفاته بها، الطبري يصرح أن بعض الأخبار كانت بحيث تجرح في الصحابة، وطبيعي من أُسس ومباني عامة المسلمين عدالة الصحابة عامة؛ ولذلك يقول الطبري:

www.noormags.com

رأيت إلى جانب تلك الأخبار أخباراً أُخرى تحاول أن لا تجرح بشخصية الصحابة، وتعذر كلاً من الطرفين يعني تعذر حيث لا تستطيع أن تجرح، تعذر أباذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه، وفي نفس الوقت تعذر خليفة المسلمين الخليفة الثالث عثمان الذي نفاه وكذلك تعذر الذي يعدّونه من الصحابة معاوية بن أبي سفيان حيث سبّب في إزعاج وأذية وطرد أبي ذر أكثر فأكثر. هذه الأخبار تعذر هذين وهما معدودان من الصحابة وتعذر أباذر وهو معدود من الصحابة فهي تعذر هؤلاء الثلاثة من الصحابة، وهناك أخبار أُخرى تذمهم؛ فلذلك أنا (يعني الطبري) جعلت ملاك ومقياس ومعيار اختياري للأخبار الجانب الذي يتوافق مع الأساس والمبنى المتسالم والمتوافق عليه لدى عامة المسلمين، ولدى مدرسة الخلفاء مسألة عدالة الصحابة فاخترت تلك الأخبار.

هذا كمثال لكيفية كتابة التاريخ بقلم مدرسة الخلفاء، وإبعاد ما كان من جذور شيعية حتى ولو لم تكن شيعية بالمعنى الأخص وإنما بالمعنى العام، يعني شيعية بمعنى العطف والمودة والمحبة لأهل البيت عليهم السلام وليس حتى بمعنى توليهم بدون التبري من أعدائهم، ومع ذلك أبعدت تلك الأخبار.

س ١٤ ـ ما هي الأخطار التي تترتب على المبادرة إلى تحريف حقائق التأريخ التي يتجه إليها بعض أرباب المذاهب في العصر الراهن؟

الجواب: هذا سؤال ارتبط في المعنى بالسؤال السابق كما يرتبط جوابه بالجواب عن السؤال السابق، إن الأخطار التي تترتب على المبادرة إلى تحريف حقائق التأريخ فيما يتجه إليه بعض أرباب المذاهب في العصر الراهن هذه الأخطار تتمثل في تحريف حقائق المعارف وتؤدي إلى تحريف العقائد، فالعقائد هي مزيجة من تراكيب معارفية أو قل

www.noormags.com

ثقافية اعتقادية، وهذه تترتب في كثير من جوانبها على بعض المعطيات التأريخية، فإذا كان المعطى غير سليم وغير صحيح كانت الثقافة والمعارف التي تترتب عليها أو تمتزج بها تتأثر بها تحريفياً وكذلك العقائد التي تمتزج بتلك المعارف، ومن ثمّ تؤدي إلى تحريف تلك الحقائق العقائدية، يعني تحريف الحقائق التأريخية يؤدي إلى تحريف الحقائق المعارفية وهذا يؤدي إلى تحريف الحقائق العقائدية إن لم يكن في أُصولها فلا أقل في كثير من فروعها التفصيلية.

س ١٥ ـ ما الذي أُنجز من الموسوعة وما هي الحلقات المستقبلية للبحث؟

الجواب: الذي أُنجز من الموسوعة المجلدات الثلاث التي تمثل السيرة، وهذه هي من نقاط البناء الابتدائي للطرح في نظري، منذ البداية كانت كنقطة وسطى بين التفصيل والاختصار أن تكون السيرة تتمثل في ثلاث مجلدات، يعني هناك بعض مصادر السيرة وحتى المكتوب أخيراً وحتى المكتوب بقلم شيعي حوزوي هي تطويل وأحياناً أكثر من الاستيعاب والشمول، وفيها كثير من الخلط بين التحقيق والتحليل، وكثير من الخلط بين التحقيق التاريخي والتحقيق العقائدي والكلامي، وهذا هو من أهم أسباب التطويل، وكذلك الخلط بين المصادر القديمة والقويمة والمصادر الفرعية على تلك المصادر القويمة، وبين المصادر من أهل البيت وبين المصادر من غير أهل البيت، وهذا هو الجانب الاحتجاجي والكلامي والعقائدي، وهذا خلط بينها.

ولذلك نحن بنينا أن تكون الموسوعة في ثلاثة مجلدات، المجلد الأول يخص ما قبل الهجرة، وما بعدها؛ لأن حوادثها بطبيعة الحال أكثر فهي تهتمّ بما بعد الهجرة في مجلدين، وأذكر هنا أن هذا من مميزات هذا الطرح أيضاً، ونحن الآن بصدد تحقيق المجلد الرابع يعني الحوادث ما بعد وفاة الرسول ﷺ أي حوادث السقيفة والخلافة وما يتعلق بذلك.

www.noormags.com

س ١٦ ـ هل هناك مراجعة للدراسات الحديثة عن السيرة والتاريخ الإسلامي؟ وهل في ذلك ضرورة؟

الجواب: أنا لا أُراجع الدراسات الحديثة إلّا بمقدار ما أقف على مروياتهم وليس تحاليلهم؛ لأني لا أعتني بجانب التحليل وإنما عنايتي بجانب النصوص.

س ١٧ ـ هل تمكن الإشارة إلى بعض النتائج المهمة التي وصلتم إليها من خلال دراستكم للسيرة النبوية الشريفة؟

الجواب: لا يمكنني الإشارة إلى النتائج المهمة في هذه المحاورة؛ لأنّه لا يحضرني تمييز بالأولوية لبعض تلك النتائج على بعض، ولذلك أتركها لفرصة تفصيلية أُخرى قد تلتقي مع السؤال العاشر الذي أحلناه إلى محاولة آتية إن شاء الله تعالى وهو: ما هي نقاط الفراغ التي تستحق الدراسة المعمقة والإكمال، وهذا ما سنقف عليه في المستقبل، ونسأل الله تعالى أن يكون المستقبل لهذه التوفيقات مستقبلاً ليس بالبعيد، وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

www.noormags.com